العلاقات التركية – الروسية في عهد الرئيس أردوغان

Turkish – Russian Relations in the era of Erdogan

أ.م.د. نبيل محمد سليم
جامعة بغداد/ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية

المستخلص

اتسم تاريخ العلاقات ما بين تركيا العثمانية وروسيا القيصرية بشكل عام بطابعه العدائي على مدى خمسة قرون تقريباً (١٥٦٨ – ١٩١٧) ، بسبب التنافس والصراع الجيوسياسي ، الذي لم يخل من دوافع إقتصادية ونزعة دينية وحضارية ، والذي جرهما الى مواجهات عسكرية مستمرة.

ومع أن العلاقات بين الدولتين لم تشهد مثل تلك المواجهات بعد الحرب العالمية الاولى ، إلا إنها شهدت خلافات وتوترات لأسباب جيوسياسية وأخرى تعود للإصطفافات الدولية قبل وبعد الحرب العالمية الثانية.

وبوصول «حزب العدالة والتنمية» الى السلطة في تركيا في ٢٠٠٢ ، وبوجود الرئيس فلاديمير بوتن على رأس السلطة في روسيا ، تطورت العلاقات بين الدولتين بشكل ملحوظ ، واستطاعتا التعامل مع خلافاتهما بما يحقق مصالحهما في بيئة اقليمية ودولية ملأى بالتحديات والتنافس والصراع ، حتى الوقت الحاضر . ومآل تطور العلاقات بينهما في المستقبل ، هو ما يحاول البحث إستشرافه.

Abstract

The history of raelation between ottoman Turkey and Tsardom of Russian was aggressive in general , for approximately five centuries , because of geopolitical competition and struggle , rather economical , religious , cultural motives.

The geopolitical reasons continued to be raised as a causes for differences between the two countries , and above international coalitions especially after world war two.

By the reach of "justice and Development" party to power in Turkey , and the presence of Vladimir potin on the head of power in Russia , the ralations between them developed remarkably despite the regional and international challenges.

What is the feature of this relations , is what the research trying to outlook.

المقدمة:

العلاقات ما بين تركيا وروسيا ، في تاريخها على مدى خمسة قرون تقريبا (١٥٦٨ – ١٩١٧) ، لم تكن علاقات سلم وتعاون ، بسبب التنافس والصراع الجغرافي – السياسي وما ترتب عليه من مواجهات عسكرية مستمرة ، والذي لم يخلُ من دوافع إقتصادية ونزعة دينية وحضارية ، بدرجة أو بأخرى ، في ذلك الزمن.

وخلال ما تبقى من النصف الاول من القرن العشرين ، بعد الحرب العالمية الاولى لم تشهد العلاقات بين الدولتين مواجهات عسكرية كتلك التي حدثت في السابق ، لكنها لم تخلُ من بعض الخلافات والتوترات التي كان العامل الجغرافي –السياسي حاضراً فيها مثل الخلاف حول المضائق التركية عام ١٩٣٦ ، والإصطفافات الدولية في بدايات الحرب العالمية الثانية.

ثم ما لبثت العلاقات بينهما أن عادت الى التوتر بعد الحرب إثر إنضمام تركيا الى «الحلف الاطلسي North Atlantic Treatey Organization « عام ١٩٥٢ ، وسياساتها وتحالفاتها ومواقفها في إطار «الحرب الباردة The cold war « ١٩٤٧ – ١٩٩١.

وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١ شهدت العلاقات بين الدولتين نوعاً من الانفراج . لكن الوضع لم يدم طويلاً إذ سرعان ما تجدد الخلاف بينهما على وقع تطور الأحداث في إقليم ناكورنو قرباج ١٩٩١ – ١٩٩٤.

ومع وصول «حزب العدالة والتنمية Justic and Development party « الى السلطة في تركيا في ٢٠٠٢ ، وإطلاقه لما عرف بسياسة « صفر مشاكل مع دول الجوار Zero problems with Nabours» وبوجود الرئيس الروسي فلادمير بوتن Vladimir Viadiminerich potin على رأس السلطة في روسيا ، تطورت العلاقات الاقتصادية بين الدولتين وإزدهرت بشكل ملحوظ كشف عنه إلتزام تركيا الحياد أزاء تدخل روسيا العسكري في اوسيتيا الجنوبية في جمهورية جورجيا عام ٢٠٠٨ ، وعدم إشتراكها في العقوبات الامريكية والاوروبية التي فرضت على روسيا بسبب تدخلها في اوكرانيا منذ العام ٢٠١٣ ، وإن لم تخرقها.

ومنذ ذلك الوقت وحتى الوقت الحاضر ، على الأقل ، إستطاعت الدولتان التعامل مع خلافاتهما في اكثر من وضع وموضع ومسألة والتفاعل معها بشكل يمكن أن يوصف بالواقعي الذي يحقق مصالحهما الى أبعد حد ممكن في بيئة إقليمية ملأى بالصراعات وأخرى دولية مليئة بالتنافس الحاد.

وتنبع أهمية البحث من موقع كلتا الدولتين في المجتمع الدولي ، وتأثير العلاقات بينهما في العلاقات والسياسة الدولية.

فيما يكمن الهدف منه في الوقوف على المتغيرات التي أطرت مسار العلاقات بين الدولتين في الفترة موضوع البحث ، والتفاعلات الرئيسة بينهما ، قدر ما تسمح به دراسة من هذا الحجم.

أما مشكلة البحث فتجسدها التقاطعات التي يصعب تجاوزها في علاقات الدولتين

، والتي تشكل محدداً لتطور العلاقات بينهما الى مديات أبعد مما هي عليه الآن من المنظور الجغرافي –السياسي لكل منهما ، في المستقبل القريب أو المنظور.

عليه تفترض الدراسة ، إن علاقات التعاون القائمة الآن بين تركيا وروسيا الاتحادية ، وإن كانت إمكانية تطورها قائمة ، إلا إنه من المستبعد أن تتحول الى علاقة تحالف استراتيجي ،ومثلما أن التقارب بينهما أكثر ممكن الى حد بعيد نسبياً ، إلا إن الصراع بينهما لايزال قائماً ويمكن أن يتطور ايضاً.

المبحث الاول:
نظرة على تاريخ العلاقات التركية – الروسية وطبيعتها.

العلاقات بين الامبراطورية العثمانية وروسيا القيصرية إتسمت تاريخيا بالصراع ، صراعاً بدأ في القرن السابع عشر الميلادي وإستمر لمدة خمسة قرون تقريباً ما بين ١٥٦٨–١٤١٧ ، قبل أن يتحول من صراع عسكري مباشر الى صراع سياسي دبلوماسي بعد الحرب العالمية الاولى.

فالتطلعات الطموحة لقيصر روسيا بيتر الكسيفينش رومانوف الذي كني ببيتر الكبير Peter the Great ١٦٧٢–١٧٢٥ ، ومن خلفه من القياصرة الاقوياء ، عكست توجه جغراسياسي روسي في التطلع الى السيطرة على موانئ البحر الاسود ومن بعدها موانئ في البحر المتوسط ، بعدها ضمانة للقوة البحرية التجارية والعسكرية التي تستلزمها تقوية الدولة الروسية ، والتي تتطلب السيطرة على مضيقي البسفور والدردنيل الذين بقيت مسالة السيطرة عليهما هدفاً إستراتيجياً مهماً للسياسة الخارجية الروسية[١] كما إستغلت روسيا وجود المسيحيين الأرثودوكس والسلاف تحت الحكم العثماني ، ذريعة للحصول على دعم شعبي لحروبها ضد العثمانيين[٢] وبذلك أضفت بعداً دينياً وعقائدياً لما كان في جوهرة صراعاً جغراسياسياً على الارض والاقاليم والمضائق ، كما كانت الحال في الحروب الصليبية ١٠٩٥–١٢٩١ [٣]* ، في جوانب مهمة منها.

وعلى أثر ذلك خاضت الدولتان خلال المدة ما بين ١٦٧٢–١٩١٤ ما يزيد على الأثنا عشر حرباً وواقعة [٤]* ، ربح كل طرف منهما بعضها وحصل على مكاسب ، فيما خسر أخرى وعانى من نتائجها . ولعل واحدة من أكثرها وقعاً على الدولة العثمانية كانت خسارتها للحرب مع روسيا وتوقيعها على « معاهدة كوجوك كينارجة» عام ١٧٧٤ التي كان من أهم نتائجها خسارة الاولى لسيطرتها على البحر الاسود والسماح للسفن التجارية الروسية بحرية الدخول الى موانئه وحرية المرور عبر المضائق الى البحر المتوسط ، بالاضافة الى إقرارها بوقوع العديد من المواقع والقواعد العسكرية العثمانية تحت السيطرة الروسية ، وهو ما أفقدها السيطرة على منطقة القرم وأضعف قبضتها على البحر المتوسط ، فيما دفعت بروسيا لتكون في مصاف الدول القوية بعد انجلترا وفرنسا [(٥)]. وفي إطار

(١) انظر ، نبيل محمد سليم يونس ، تطور العلاقات التركية – الامريكية في ظل التغييرات الدولية المعاصرة ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد ، ١٩٩٧ ، ص٩٧.
نقلا عن :
Campany Jr,Richard c, Turkey and the united states , the arms empargo period , prager, USA ,1982.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٧.

(٣) لبعض التفاصيل حول الحروب الصليبية ، أنظر : Mark Cartwright ترجمة Amin Nasr ، الحروب الصليبية : الاسباب والأهداف ، موسوعة تاريخ العالم World History Encyclopedie ، ٤ تموز ٢٠١٤.
https://www.worldhistory.org/trans/ar/1249-2.

(٤) حول أهم تلك الحروب بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية ، أنظر : جلال سلمي ، الحروب التاريخية بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية ، ترك برس ، ١ ديسمبر ٢٠١٥. **https://www.turkpress.co/15808.**

(٥) انظر ، سامية السيد ، المعاهدة التي دمرت الدولة العثمانية .... ، تركيا بوست ، ٨ أكتوبر ٢٠١٥.
https://turkey-post.net/p79344-.

« معاهدة هنكار إسكيلي Hunkar Iskelesi « في عام ١٨٣٣ التي وقعتها الدولة العثمانية مع روسيا في خضم صراعها مع والي مصر محمد علي ، أصبح من حق السفن الحربية الروسية المرور في المضائق[٦] الا أن المعاهدة الغيت «بإعلان لندن» عام ١٨٤١ ، ثم سمحت «معاهدة سان ستيفانو san Stefano « عام ١٨٧٨ بمرور مثل تلك السفن ، وأعيد إلغاء السماح في «مؤتمر برلين» في نفس العام تحت ضغط الدول المنافسة لروسيا ، الامبراطورية النمساوية والمجرية وبريطانيا[٧].

وشهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨ تقارباً ملحوظاً في المجالات الاقتصادية والتجارية ، والى حد ما في المجال السياسي ، وذلك بسبب شبه العزلة التي وجدت الدولتان نفسيهما فيها من قبل القوى الاوروبية الغربية وخاصة بريطانيا وفرنسا[٨]. وإن إختلفت دواعيها تجاه كل منهما . كما شجع على ذلك التقارب في الأعوام ما بين ١٩٢١ – ١٩٣٩ ، ما أبداه فلادمير لينين Vladimir Lenin بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧ من رغبة في التعايش السلمي في العلاقات ما بين الدول ونزوع للتخلي عن المطالب السابقة لروسيا القيصرية[٩]، وكشف الثورة عن الوثائق التي كانت تتبادلها روسيا مع بريطانيا وفرنسا في إطار « إتفاقية سان بطرسبورغ» التي عرفت فيما بعد بـ «إتفاقية سايكس – بيكو Sykes – Picot Agreement» في ١٩١٦ ، لتقاسم البلاد والاقاليم التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية ، والتي كانت تتضمن إعطاء روسيا السيطرة على استانبول والمضائق وسيطرة مباشرة على أجزاء من الاناضول الشرقية ، أي آسيا الصغرى أو ما يعرف اليوم بجمهورية تركيا[١٠]

وهناك من الكتاب من فسر تلك الدعوات والكشف عن الاتفاقات بأنه كان الغرض منها كسب الوقت للدولة الروسية الجديدة لبناء قواها وقدراتها «فحال الضعف العام التي وجدت البلاد نفسها فيها ، بالنسبة لها ولأعدائها ، أملت عليها التصرف بنفعية وجهت من خلالها بعض الرسائل التي تبتعد عن الترويج والإفصاح عن أفكارها وتوجهاتها للاهتمامات الجغرافية والجغراسياسية غير القصية»[١١]

ومع تطور العلاقات الاقتصادية بين الدولتين في تلك الفترة ، إلا إن علاقتهما السياسية لم تكن بنفس المستوى من التطور ، فقد أخفقتا في التوصل الى عقد معاهدة تجمعهما في تحالف عام ١٩٣٩ ، على الرغم من عقدهما لإتفاقية حياد عام ١٩٢٥ ، وأعيد تجديدها عام [١٢]١٩٣٥.

(٦) انظر ، د.غالب عبد احمد العربيات و د.هاني أحمد طالب الشبول و د.محمد خالد مصطفى المومني ، بلاد الشام بين محمد علي باشا والدولة العثمانية ، قراءة في الصراع (١٨٣١ – ١٨٤١م) ، SCRIBD ، ص١٨.
https//:www.scribd.com/home.

(٧) انظر ، عبد الرؤوف سينو ، العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨) مسألة البحر الاسود والازمة البلقانية ، ص٣-١٩. **https://www.abdelraofsino.com/periodicals/docum87-.pdf.**

(8) vide , David J Dallim , soviet foregin policy after stalin , methuen , london 1962 , p , 108.

(٩) انظر ، نبيل محمد سليم يونس ، المصدر السابق ، ص٩٥.

(10) Vide , Obsession with Sykes – Picot says more about what we think of arabs than history , Australian institute of international affairs.
https://www.internationalaffairs.org.au/obsession-with-sykes-picot.

(11)Geore W.Bresluer , soviet strategy in the middle east , unwin hlayman , London 1990 , pp.16-15.

(١٢) انظر ، نبيل حيدري ، تركيا – دراسة في السياسة الخارجية منذ عام ١٩٤٥ ، دار صبرا للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٨٦ ، ص١٤٥ – ١٤٧.

وإبان إندلاع الحرب العالمية الثانية ، عادت المطالب الروسية القديمة مرة اخرى ، حيث طالب السوفيت بقواعد تمكنهم من الاشراف على المضائق الى جانب تركيا ، وتعديل «ميثاق مونترو Monterux convention regarding the regime of the straits» لعام ١٩٣٦ ، والتخلي لهم عن الأقاليم الشرقية (قارص وأردهان) بعد أن إنسحبت منها روسيا ، التي كانت قد إحتلتها عام ١٨٠٠ ، مع قيام الثورة البلشفية(١٣). وهما إقليمين مهمين من الناحية الاستراتيجية والجغراسياسية إذ إن السيطرة عليهما تعني « السيطرة على شرق الاناضول والقدرة على التوغل بإتجاه العراق عبر أرضروم وفان والموصل حتى الخليج العربي «(١٤).

وبحلول ايلول ١٩٤٤ برزت بشكل واضح مسألتان تهمان تركيا هما: وضع المضائق بعد الحرب ، ووضع منطقة البلقان والدول الشمالية في إصطفافات القوى التي كانت قد بدأت تتشكل ، وتينك المسألتين اللتين بقيتا كامنتين في المراحل الاولى الاولى للحرب ، كانتا حاضرتان دائماً ، وأخذتا بالتكشف في خضم الحرب ، وفي النهاية تخطتا مسألة ما تقتضيه الحرب(١٥).بمعنى أن المسألتين لا ترتبطان بحالة الحرب فقط ، وإنما يمتد تأثيرهما لما بعدها.

وخلال الحرب وخاصة بعد معركة ستالين غراد أب / أغسطس ١٩٤٢ – شباط / فبراير ١٩٤٣ ، خضعت تركيا لضغوط مكثفة ، وهي ضغوط نمت وزدادت بسبب التنافس التاريخي بين بريطانيا وروسيا في الشرق الأدنى ، وإدراك كلتا الدولتين لمصالحهما وأمنهما القائم على المدى البعيد في مناطق شرق المتوسط(١٦).

وفي خضم ذلك الصراع ، كان الاتحاد السوفيتي من تخوف منه الاتراك بشكل أكبر ، فبالنسبة لهم لم يكن الجانب المهم فعلاً للظاهرة الاستعمارية التي أثرت عليهم بصورة غير مباشر هي التوسع البحري لدول اوربا الغربية منذ القرن السادس عشر ، وإنما كان توسع دول من اوربا الشرقية على الأرض خلال نفس الفترة ، الذي جعل الأراضي التركية القديمة في شمال وشرق البحر الاسود وبحر قزوين تحت السيطرة ، وأجبر الامبراطورية العثمانية على القتال في سلسلة من الحروب العنيفة ، في دفاع حتى آخر المطاف ضد تقدم الروس الى البحر المتوسط(١٧).

ورغم الضغوط التي تعرضت لها تركيا من قبل الاتحاد السوفيتي وبريطانيا للدخول في الحرب الى جانب دول الحلفاء ، الإ إنها بقيت على الحياد حتى شباط / فبراير ١٩٤٥. وصعوبة الحكم على دور تركيا في الحرب صحيح ، خاصة إذا ما جرى إستعادة التذكير بأن المخاوف التركية من الاتحاد السوفيتي كانت حاضرة على الدوام ومهيمنة

(١٣) انظر ، هيام عبدالشافي عبد المطلب محمد ، أهمية موقع تركيا الاستراتيجي في إعلان «مبدأ ترومان» ، مجلة بحوث الشرق الاوسط ، العدد الاربعون ٢٠١٦ ، ص ١٤٦ – ١٤٧.

https://www.mercj,journals.ekb.eg/articale-66470-e77df2aabc5a433cfc835b9a7aef8c00.pdf.

(١٤) نبيل محمد سليم يونس ، المصدر السابق ، ص٩٨.

(15) vide, Bruce R.kuniholm, The Origins of the cold war in the near est – great power conflict and diplomacy in Iraq , turkey and Greece , Princeton university press , new jersey 1980 , p68.

(16) Ibid , p, 21.

(17) Ibid , p , 69.

على الاهتمامات الأخرى بعد معركة ستالين غراد ، وأنها كانت نتيجة لأكثر من مجرد شكوك تقليدية ، وأنها كانت رداً على المحاولات المتكررة للاتحاد السوفيتي في بحثه عن مزايا جغراسياسية وإستراتيجية على حساب تركيا[١٨]. هذا بالاضافة الى ما كان قد أدلى به مسؤولون سوفيت من تصريحات قال عنها رئيس الاتحاد السوفيتي نيكيتا سيرغيفيتش خروتشوف Nikita sergeyevich Khurshchev في كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٥ في معرض حديثة عن تردي العلاقات مع تركيا « إننا لا نستطيع القول بأن هذا التردي تطور فقط بسبب أخطاء تركيا ، فنحن من جهتنا ايضاً أدلينا بتصريحات غير ملائمة لبدت تلك العلاقات بالغيوم»[١٩].

وقد عدت السياسات والمواقف والتصريحات السوفيتية إبان وخلال الحرب دوافع أساسية أدت الى تغير مهم في السياسة الخارجية التركية من الحياد الى جانب الغرب ، الولايات المتحدة الامريكية بشكل خاص ، بعد إنتهاء الحرب ، وخاصة عندما أخذت بوادر «الحرب الباردة» بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة تلوح في الأفق ، وقناعة الساسة الاتراك عندها أن سياسة الحياد لن تحقق ما يكفي من ضمانات لأمن تركيا ، وإن نوعاً من التحالف السياسي والأمني مع الولايات المتحدة والغرب بشكل عام بات ضرورياً للحفاظ على أمنهم ومصالحهم[٢٠]. فكان إنضمامها الى «حلف الأطلسي» عام ١٩٥٢.

وعلى الرغم من إبلاغ السوفيت لتركيا رسمياً عن طريق وزير خارجيتهم فياتشيلاف ميخائيلوفيتش مولوتوف Vyacheslav Mikhailovich Molotov بتخليهم عن خطط الرئيس جوزيف ستالين Joseph Vissarionovich Stalin في التوسع الاقليمي ، وإن «الحكومة السوفيتية تعلن أن الاتحاد السوفيتي لا مطالب إقليمية له أياً كانت ضد تركيا» ، وعلى الرغم من محاولات خروتشوف لتحسين العلاقات معهما في إطار أطروحة « التعايش السلمي Peaceful Coexistence » ١٩٥٦ ، إلا إن العلاقات بين الدولتين بقيت خلال الفترة ١٩٥٣ – ١٩٦٤ أسيرة لظروف وتطورات «الحرب الباردة» بين الدولتين الكبيرتين[٢١]. وبقيت العلاقات بينهما على حالها من عدم الاستقرار وتتراوح ما بين التحسن والتوتر حتى في مرحلة «الانفراج Detent» التي شهدتها العلاقات بين الغرب والشرق بعد العام ١٩٦٤ [٢٢].

ومع التطور الذي حصل في العلاقات بين تركيا والاتحاد السوفيتي منذ ذلك الوقت وحتى تفكك الأخير عام ١٩٩١ ، الإ إنه كان تطوراً بطيئاً رغم إستمراره ، وايجابياً إذا ما قيس بفترة الحرب العالمية الاولى وما قبلها ، وبفترة الحرب العالمية الثانية وما تلاها مباشرة[٢٣].

---

(18) Ibid , p, 69.

(19) David J Dallin , op , cit,p, 101.

(٢٠) انظر ، نبيل محمد سليم يونس ، المصدر السابق ، ص٩٨.

(٢١) انظر ، المصدر نفسه ، ص٩٩.

(٢٢) انظر ، المصدر نفسه ، ص ١٠٠.

(23) vide , Nato : An Alliance in a state of Flux , Turkish probe (TP) , vol.5. no 81 , June – 10 1994,p.8.

٣- مرحلة ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ١٩٩١ – ٢٠٠٢.

لعل أهمية هذه المرحلة في العلاقات بين تركيا وروسيا تكمن في التغير المهم في طبيعة النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عرفت به روسيا منذ الثورة البلشفية عام ١٩١٧ ، والحيز الجغرافي للمجال الحيوي الذي فرضت سيطرتها عليه في فترة الحرب العالمية الثانية وحقبة «الحرب الباردة» الذي فرض نفسه وإمتدت تأثيراته الى مجمل النظامين الدولي والاقليمي ، وما حمله ذلك التغير من توقعات بإحتمالات حصول تغير جدي في التفكير السياسي والجغراسياسي الروسي بحجم التغيير الذي حصل في المنظومة السياسية السوفيتية وحيزها الجغرافي.

فعند تفكك الدولة السوفيتية في ١٩٤١ ، بدت وريثتها روسيا الاتحادية وكأنها قد نأت عن سياستها الخارجية السابقة الى الحد الذي لم تعد معه تشكل خطراً وتحدياً جدياً على الغرب والمجال الجغرافي القريب منها كما كانت من قبل ، والى وقت ليس بالقصير نسبياً على الأقل . وذلك بحكم الواقع الذي يفرضه التغيير في التحول نحو الاهتمام بالداخل لتحقيق الاستقرار السياسي والإقتصادي بالدرجة الأساس . وهو وضع وإن كان مفهوماً ومطلوباً بسبب التغير الذي شهدته الدولة الروسية والأوضاع التي ترتبت عليه على صعيد السياسة والعلاقات الدولية وتفاعلاتها ، الإ إن ذلك لم يكن ليعني بالضرورة أن الدولة الوريثة كانت راغبة أو مستعدة للتخلي عن مصالحها وأهدافها الحيوية أو عن مكانتها الدولية وتوجهاتها الاقليمية ، خاصة وأنها بقيت رغم كل ما مر بها الدولة الند للولايات المتحدة وحلفائها الاوربيين في ميزان القوة العسكرية والردع التقليدي والنووي ، في أقل تقدير . هذا الى جانب الشعور القومي والمعارضة التي أبداها تيار «المقاومة التقليدي» المغالي ضد أنماط التوجه الغربي وتطلعاته لإستعادة مكانة الدولة السوفيتية والامبراطورية الروسية القيصرية ، وهي مسألة أولتها تركيا إهتماماً كبيراً[٢٤] ، وربما تكون هي التي أبقت على هواجسها قائمة . ولعل ذلك ما يفسر عودة الخلافات بين الدولتين بعد فترة قصيرة من الهدوء والإنفراج الذي ساعد عليه وضع روسيا بعده أثراً من آثار التغيير . لذلك سرعان ما عاد الخلاف بينهما في العام ١٩٩٣ حول بعض القضايا السياسية والاقتصادية التي تنطوي على أبعاد جغراسياسية مهمة لكلتيهما وعلى وفق إدراك كل منهما لها . أهمها تلك المتعلقة برغبة روسيا باطلاق سقف حجم القوات الروسية في القفقاس ، تحت ذريعة التوتر المتزايد في المنطقة بسبب النزاع المسلح بين الأرمن والأذريين وبين الجورجيين والأنجاز ، والذي رفضته تركيا في إعلان لوزارة خارجيتها مبدية عدم إستعدادها لمناقشة أية إستثناءات بذلك الشأن[٢٥].وطلب روسيا من « مجلس حلف الاطلسي north atlantic council NAC» السماح بالاختيار الذي يجيز إجراء تغيير في سقف «إتفاقية الأسلحة التقليدية في اوربا "Treaty on the limitation of conventional Arms in Europr لعام ١٩٨٠ التي دخلت حيز التنفيذ في ١٩٩٢ ، كاحد الشروط للتوقيع على «إتفاق الشراكة من أجل السلام partinership for peace

(24) vide , Nato : searchs for its future , Turkish probe , vol.4,no. 46 , October 1993 – 5 , p.12.

(25) Nazin ertan , what can you do with a difficult parther , Turkish probe , vol.5 , no . 82 , june – 17 1994, p2.

كلية القانون و العلوم السياسية

pfp))» ١٩٩٤ ، إضافة الى حق الاعتراض . وهي مطالب علق عليها الرئيس التركي الأسبق سليمان ديميريل Suleyman Demirel بالقول «هناك تغييرات عدة شهدها العالم بإستثناء شيء واحد بقي على حاله وهو : إن على الحلف أن يحل نفس المشكلة القديمة في تقرير ماذا عليه أن يفعل مع روسيا»[٢٦] . فيما ذهبت رئيسة الوزراء في وقته تانسو شيلر Tansu Ciller الى الإشارة الى إن هناك شعوراً قومياً متنامياً في روسيا ، وهناك ميل لإعادة المطالبة بالحدود القديمة[٢٧].

ومن جانبها عبرت روسيا عن إستياءها من سياسات تركيا ومواقفها إزاء الجمهوريات الناطقة بالتركية في آسيا الوسطى وقفقاسيا التي إستقلت عن الدولة الروسية ، والذي بلغ ذروته بمعارضتها الشديدة لمؤتمر استانبول في تشرين الاول / نوفمبر ١٩٩٤ ، إذ أعربت الخارجية الروسية عن إعتقادها بأن تركيا تخطط لتجميع هذه الجمهوريات تحت وصايتها[٢٨].

كما ثار الخلاف بين الدولتين عندما أبدت روسيا معارضتها لخطة تركيا لايصال النفط الأذري عبر البلقان الى ساحل البحر المتوسط في تركيا[٢٩]. وهو أمر كان لابد من أن يثير حفيظة روسيا من الناحية الجغراسياسية لأنه يتيح لتركيا بناء قدر مهم من النفوذ في مناطق آسيا الوسطى والقفقاس يمكن أن يكون منفذاً للتدخل والتأثير عليها ومنافسة نفوذها فيها . وهو من الناحية الاقتصادية سوف يؤدي الى فقدان روسيا التحكم في خطوط نقل نفطها إذا ما جرى نقلها عبر أنابيب تمر عبر الأراضي التركية وتمنحها إمكانية التحكم فيها ، ومن خلالها الغرب. ويستنتج مما تقدم ، إن دور وتأثير الواقع الجغرافي والتوجه الجغراسياسي لكلتا الدولتين لم يتغير كثيراً في فكرهما وتفكيرهما السياسي واستراتيجياتهما ، وإن إختلفت طبيعة التعاطي معه . فقد بقيت المنطقة الجغرافية في آسيا الوسطى والقفقاس مثار إهتمام الدولتين الكبير من الناحية السياسية والأمنية والاقتصادية بعدها جزءاً من البيئة الاقليمية لكليهما ومجالاً حيوياً لهما.

وإذا كانت الشكوك الروسية حول أهداف السياسة الخارجية لتركيا في هذه المناطق واحدة من دوافعها لإعتماد مبدأ «الجوار القريب Near Abroad» الذي يقوم على نظرة روسيا الى الجمهوريات السوفيتية السابقة على إنها تقع ضمن مناطق نفوذها ، ويجب أن تبقى كذلك ، ومن ثم فإنها تمتلك الحق في حماية مصالحها بكل الوسائل[٣٠]، فإن نظرة تركيا المقابلة ، وإن إختلفت مضامينها عن نظيرتها الروسية ، وقناعتها الراسخة الى حد بعيد ، أنه طالما هناك طريق الى الجنوب ، حيث الغاية الروسية في الوصول الى المياه الدافئة منذ القرن الثامن عشر ، فإن الروس لن يتوقفوا عن التطلع للتحكم بالمضائق التركية . وبالتالي «ومن وجهة النظر التركية ، إن روسيا قيصرية كانت أم شيوعية ، مثلت على الدوام خطراً على تركيا لأسباب جغراسياسية ، ويمكن أن تمثل نفس الخطر

(26) Ibid , p , 2.
(27) Ibid , p , 2.
(28) vide , Inur cevik , Rift between Ankara and Moscow , Turkish probe , vol . 10 , no. 101 , October 1994 – 28 , p , 6.
(29) Ibid , p , 6.
(30) Ibid , p , 6.

وإن هي تحولت من الاتحاد السوفيتي الى دولة ديمقراطية ، وهي لذلك تبقى ذات أهمية قصوى لتركيا»[٣١].

ويبدو، أن العلاقات بينهما في المرحلة اللاحقة تعبر عن تلك الرؤى ، ولكن بسياسات ووسائل مختلفة.

(31) Vahit Halefoglu , the Importance of the Soriet Union for Turkey , Turkish review Quarterly Digest , vol.3 , no . 25 , summer 1991 , p. 28.

المبحث الثاني
جانب التعاون في العلاقات بين تركيا وروسيا الاتحادية

إن الدولة الروسية ، وعلى الرغم من التغييرات التي شهدتها في بنيتها السياسية بشكل رئيس ، ورغم أنها لم تعد بحدودها الجديدة جارة مباشرة لتركيا ، الإ إنها بقيت تحوز على إهتمامها وتثير قلقها الى حد ليس بالقليل نسبياً. وهو ما عنى في وقته ، وربما ما يزال ، أهمية التقارب والتفاهم والتعاون بين الدولتين مع وجود دواعي الصراع بينهما . وهو ما إنعكس على علاقتهما منذ العام ٢٠٠٠ وحتى الوقت الحاضر.

وابتداءاً ، فقد شهدت العلاقات بين تركيا وروسيا تطوراً ملحوظاً تزامن مع تولي الرئيس فلادمير بوتن السلطة ، وسياسات الإصلاح الاقتصادي التي أتبعت لإعادة البناء الداخلي والنهوض بقدرات روسيا لإنعاش إقتصادها وإستعادت مكانتها الدولية والإقليمية التي تأثرت بسبب التغير والسياسات الاقتصادية السابقة[٣٢]. هذا الى جانب إنتهاجه لسياسة مرنة تجاه تركيا ، الى حد ما ، لغرض تخفيف التوتر بين الدولتين وتحسين العلاقات السياسية وتطوير الاقتصادية بين الدولتين[٣٣].

وبوصول «حزب العدالة والتنمية (Justice and development party (AKP برئاسة رجب طيب اردوغان Recep Tayyib Erdogan الى السلطة في تركيا أواخر عام ٢٠٠٢ ، أعطى دفعة لتطور أكبر للعلاقات بين الدولتين إثر طرحه سياسة «صفر مشاكل Zero problems» مع دول الجوار أو على الأقل تقليص هذه المشاكل الى أدنى المستويات[٣٤].

ولتبديد مخاوف روسيا والمجتمع الدولي من وصول حكومة ذات توجهات إسلامية من قادة حزب العدالة والتنمية الى السلطة في تشرين الثاني / نوفمبر الى السلطة ، على خلفية أن الإسلاميين الاتراك كانوا من بين الداعمين للمقاتلين الشيشان في صراعهم مع روسيا في منتصف التسعينيات من القرن الماضي ، ذكر عبدالله جل Abdullah Gul مرشح الحزب لرئاسة الوزراء التركية أن «هدفنا هو أن نري العالم أن بلداً سكانه مسلمين يمكن أن يكون ديمقراطياً ، شفافاً ، متمدناً ومتعاوناً مع العالم أيضاً» ((٣٥)). لكن الرئيس بوتن ، وعلى الرغم مما أبداه من نوايا حسنة وتصريحات منفتحة خلال زيارة اردوغان لموسكو في ٢٠٠٣ ، «عبر عن قلق بلاده من إن إعتدال حزب العدالة قد لا يستمر إذا ما تحول الى إتجاه أكثر أصولية ، وإن ذلك يمكن أن يخلق مشاكل لروسيا ليس في آسيا

٣٢ () انظر ، أحمد يوسف كيتان Ahmed Yousif Kietan ، روسيا الاتحادية القوة الصاعدة : مقومات القوة ونقاط الضعف ، ANKASAM bolgesel arastimalar dergisi mayis ، ٢٠١٧ , p , ٥-٩.
https://www.dergipark.org.tr/download/artical-file/355603.

(33) vide , Dr.Mohamad Arafat & Dr.Luqman O. Mahmood Alnuaimy , The Turkish – Russian Relations in the Era of AKP , Afyon kocatepe universitiesi , iibf Dergisi (c.x111 , s 2011 , 11) , p , 108.
https://www.dergipark.org.tr/tr/download/artical-file//8917.

(٣٤) سياسة "صفر مشاكل" مع الجوار ، الجمهورية التركية – وزارة الخارجية.
https://www.mfa.gov.tr/komsulara-sifir-sorun-politikamiz-ar.ar.mfa.

(35) Dr.Mohammad Arafat & Dr.luqman O.Mahmood Alnuaimy , Op , cit , p . 110.

الوسطى والقفقاس ، وإنما في روسيا نفسها أيضاً»[٣٦].

وبعد توقيع وزير الخارجية الروسية ايغور ايفانوف Igor Ivanov مع وزير خارجية تركيا الأسبق عبدالله جل في شباط/فبراير ٢٠٠٤ ، على أربعة بروتوكولات حول قضايا مختلفة ، صرح الوزير التركي عن «إن تركيا وروسيا الاتحادية لهما خمسمائة عام من العلاقات وإنهما أعادتا اكتشاف أحداهما الأخرى في وقت كان فيه العالم يواجه تغييرات مهمة .... وشدد على أهمية الحرب ضد الارهاب من أجل الاستقرار في الاقليم وأعلن عن رغبة تركيا للتعاون مع روسيا للتعامل مع القضية»[٣٧].

وعدت زيارة بوتن لتركيا في كانون الاول / ديسمبر ٢٠٠٤ ، وهي الاولى لرئيس روسي منذ ٣٢ عاماً ، وإجتماعه برئيس الوزراء أردوغان في وقتها ، مؤشراً على رغبتهما في علاقات جيدة بعد أن إنتهت إجتماعاتهما الى التوقيع على «إعلان مشترك لتقوية علاقات الصداقة والشراكة والعديد من مشاريع التعاون بين الدولتين . وفي تعليقه على الاعلان قال بوتن «إن إعلان الصداقة والشراكة» "Joint Dectaration Between the Republic of Turkey and the Russian Federation on Deepening Friendship Multi–Dimentional partnership" سيعزز الجهود المشتركة في محاربة الارهاب ، ويعطي التعاون زخماً .... لقد أكدنا مرة أخرى عزمنا على تطوير علاقاتنا السياسية والاقتصادية والثقافية في كل المجالات»[٣٨].

وفي إجتماعها في آب / أغسطس ٢٠٠٥ ، أعاد بوتن واردوغان التأكيد على الاتفاقات السابقة في إطار إعلان الصداقة والشراكة ، الى جانب التصميم على ايجاد سبل لزيادة وتوسيع التفاعل بينهما في مجالات الاقتصاد ، الطاقة ، التعاون العسكري والسياسة الاقليمية.[٣٩]. وفي ختام الاجتماع صرح اردوغان بالقول» إن وجهات نظرنا متطابقة تماماً فيما يتعلق بالوضع في المنطقة ، وكذلك حول القضايا التي تتعلق بالحفاظ على الاستقرار في العالم»[٤٠].

ومنذ ذلك الوقت زادت وتيرة تبادل الزيارات الرسمية لمسؤولي البلدين، وتوسعت وتنوعت مجالات التعاون بينهما ليعرب رئيسا الدولتان أردوغان وديميتري ميدفديف Dimitry Medvedev ٢٠٠٨–٢٠١٢ عقب اجتماع لهما في موسكو في ١٣من شباط / فبراير ٢٠٠٩ عن إنهما في خط إرادتهما ورغبتهما المشتركة لتعزيز العلاقات التركية– الروسية، فإنهما يعلنان ... بعدهما بلدان صديقان وجاران، عن تسجيل ترحيبهما وإرتياحهما للتقدم الذي أسفرت عنه علاقاتهما الثنائية وتعاونهما بإتجاه تعزيز الشراكة متعددة الأبعاد التي تتماشى مع الأهداف التي أعلن عنها في الإعلان المشترك لعام ٢٠٠٤... وإنهما يعلنان ، ومن منطلق خدمة مصالح البلدين ، تعزيز السلم، الأمن ،

(36) Ibid , p , 111.
(37) Ibid , p , 111.
(38) vide , Turkeys political relations with Russian Federation , Republic of Turkey , Ministry of Foreign affairs.
https://www.mfa.gov.tr/turkey-s-political-relations.
(39) Dr.Mohamad Arafat , Op, cit , p . .112
(40) Ibid , p , 113.

الإستقرار والتطور على إمتداد الجغرافية الأوراسية وكذلك على المستوى العالمي، ويعلنان عن إن جهودهما المشتركة بإتجاه هذا الهدف سوف تكون حافلة في المرحلة القادمة... كما إنهما يهدفان لتحسين النظام الأمني في المنطقة الاورو- أطلسية... ويدعمان فاعلية اكبر على المستويين الدولي والأقليمي لنظام الأمن الجماعي المتوخى في ميثاق الأمم المتحدة ... ولمواجهة المخاطر والتهديدات التي تهدد الأمن الدولي في القرن الحادي والعشرين ، ودحر الارهاب ووقف إنتشار أسلحة الدمار الشامل والاتجار بالبشر والهجرة غير الشرعية... الخ»(٤١).

والى جانب ذلك تضمن الإعلان ، تشجيع إنتقال رؤوس الاموال والسلع والخدمات بين الدولتين، وتحقيق التناغم بين بناهما الاقتصادية، والإسهام الفاعل لدور ونشاط «» منظمة البحر الأسود للتعاون الاقتصادي « Black Sea Economic Cooperation Organization(BSEC)» في تعزيز التعاون الاقتصادي والاستقرار والأمن في المنطقة ، و أهمية مشاركة دول ساحل البحر الاسود في كل النشاطات للحفاظ على أمن المجالات البحرية والوقوف بوجه أيه مخاطر او تهديدات ، وتطابق وجهات نظر الدولتين للأهمية الاستراتيجية للبحر الأسود ، وحول حماية أمن وإستقرار المنطقة.(٤٢)

إضافة الى تأكيد الدولتان على إلتزامهما بـ» ميثاق مونتريكوس Montreux Convention لعام ١٩٣٦ فيما يتعلق بنظام المضائق التركية والالتزامات الدولية بخصوص أمن الملاحة والبيئة ومبادئ حرية المرور.. والتأكيد على ايمانهما القوي بأن وضع القضايا التي تضمنها الاعلان المشترك موضع التطبيق من شأنه أن يصل بالعلاقات الجارية والتعاون بين الدولتين الى مستوى جديد، والذي بدوره سوف يحدد مرحلة جديدة من الشراكة متعددة الأبعاد بين الجمهورية التركية وروسيا الاتحادية.(٤٣)

ويمكن القول ، أن تطور العلاقات الاقتصادية وتنوعها بين الدولتين في مختلف المجالات منذ تسعينيات القرن الماضي، بسبب حاجة كلتيهما للعامل والفاعل الاقتصادي لتدعيم مكانتهما ومواجهة التحديات التي تواجههما على صعيد النظامين الدولي والاقليمي والتغيرات والتغييرات المتسارعة والمتلاحقة في علاقات وتفاعلات هذين النظامين ، لعبت دوراً مهماً في تهدئة علاقات الدولتين السياسية. فزيادة حجم التبادل التجاري الى معدلات عالية بشكل ملحوظ، وإزدياد عدد الشركات التركية في روسيا وإعداد السياح الروس في تركيا، الى جانب مشاريع نقل الطاقة الأوراسية الى الأسواق الغربية،(٤٤) ، كلها وغيرها

(41) Ibid , p , 113.
(42) Joint Declaration between the Repuplic of Turkey and the Russian Federations on progress towards a New stage in Relations and Future Deepening of Friendship and Multidimentional Partenership , Moscow , 13 february 2009 , Republic of Turkey , Ministry of Foreign affairs. https://www.mfa.gov.tr.sinning-of-friendship-and-multidimentional-partenership-moscow-13-february2009-.en.mfa.
(43) vide,Ibid.

(٤٤) للتفصيل حول تطور العلاقات الاقتصادية بين تركيا وروسيا الاتحادية ، انظر : شانازحكيم محمد وديلان غفور صالح ، تطور حجم التبادل التجاري بين روسيا الاتحادية وتركيا وأثره على النمو الاقتصادي للبلدين خلال المدة (١٩٨٩ – ٢٠١٥) ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة السليمانية ، حزيران ٢٠١٧ ، ص ١٨٣-١٨٦.
https://www.sj.sulicihan.edu.krd/file/04/2018/%D8.
=وانظر ايضاً : Dimitar Bechev ، تطبيع العلاقات الاقتصادية الروسية التركية ، الشرق للابحاث الاستراتيجية ، ٢٠ فبراير ٢٠١٨. **https://www.research.sharqforum.org.**

شكلت متغيرات مهمة في علاقات البلدين الاقتصادية ، وكان لابد من أن تنعكس على مجالات علاقاتهم الاخرى بشكل أو باخر وبدرجة أو بأخرى ، وتجعلها اقل حدة وأكثر مرونة في التعاطي مع إختلافاتهما وخلافاتهما على صعيد السياسة الخارجية.

ولعل ذلك مايفسر موقف بإلتزام تركيا الحياد إزاء التدخل العسكري الروسي في أوسيتيا الجنوبية في جورجيا عام ٢٠٠٨.(٤٥) وعلى الرغم من عدم إعتراف تركيا بالسيادة الروسية على شبه جزيرة القرم بعد تدخل الأخيرة فيها في العام ٢٠١٣ وضمها الى اراضيها في ٢٠١٤، وتقديم تركيا الدعم السياسي لأوكرانيا ، إلا إنها لم تشارك في العقوبات الامريكية والاوربية على روسيا.(٤٦)

ومع هذا، لايمكن القول أن التطور في العلاقات بين الدولتين خلا من الخلافات التي تشكل كوابح تعيق من تطورها الى مديات أبعد في جوانبها السياسية والاستراتيجية ، ذلك أن العلاقات العلاقات الاقتصادية على أهميتها ، وطموحاتهما للتعاون والشراكة في مجالات مختلفة، وتوافق وجهات النظر حول بعض القضايا ، لاتمنع إمكانية الخلاف حول غيرها، والأهم من ذلك إنها لاتلغ إدراك الدولة للدولة التي تمثل تحد كبير لها وتهديد محتملٍ لأمنها وسلامة أراضيها ومصالحها الحيوية. وفي هذا السياق نحتاج الى التعرف على أهم اوجه الخلاف في توجهات السياسة الخارجية لكل من الدولتين ، والصراع بينهما في إطار التعاون ، أي التاون والصراع في الوقت نفسه.

(٤٥) كانت اوسيتيا الجنوبية التي تقع في جورجيا ، تتمتع بحكم ذاتي في جورجيا خلال الحقبة السوفيتية . وأعلنت إستقلالها عن جورجيا عام ١٩٩٠ ، الأمر الذي أدى الى نزاع مسلح بينهما إستمر لعامين ١٩٩٠ – ١٩٩٢ . ثم عاد النزاع ليتجدد في آب ٢٠٠٨ لنتهي بتدخل روسيا الى جانب اوسيتيا . للتفصيل ، انظر : منظمة الامم المتحدة ، الحالة في جورجيا – ٢٦.
https://www.un.org/securitycouncil/fils/-09-08georgia.

(٤٦) انظر : إف ستيفن لارابي ، ستيفاني بيزارد ، أندرو راديين وناثان تشاندلر، روسيا والغرب بعد الازمة الأوكرانية – أوجه الضعف الاوروبية جراء الضغوط الروسية ، مؤسسة راند ٢٠١٧ ، ص ٣٩-٥٣.
https//:www.rand.org/conten/dam/rand/pubs/research-report/RR/1305RAND-RP1305Z1.

المبحث الثالث:
تفاعل العلاقات التركية ـ الروسية في إطار التعاون والصراع

العلاقات بين تركيا وروسيا الاتحادية ، وعلى الرغم من تفاعلات التعاون الذي حفلت بها خلال العقدين الماضيين ، إلا إن ذلك لايعني بالضرورة عدم التفاعل في إطار من الصراع الى جانبه في الوقت نفسه، إدراكاً من الدولتين لمقتضيات تحقيق مصالحهما الحيوية والحفاظ عليها في ظل متغيرات البيئتين الدولية والإقليمية ، إضافة الى الداخلية في كل منهما. ويمكن إجمال عوامل الخلاف بينهما ، والتي تكاد تكون ثابتة في السياسة الخارجية لكل من الدولتين وشكلت ، ولما تزل عوامل للخلاف و دوافع لإستمرار الصراع بشكل أو بآخر وبدرجة أو باخرى ، في الآتي:

١. إن روسيا مافتئت تبحث في سياستها الخارجية عن مناطق ومجالات للنفوذ ومواقع إستراتيجية في الجمهوريات السوفيتية السابقة في آسيا الوسطى والقفقاس ومنطقة البحر الاسود. فروسيا وإن سلمت بحقيقة فقدان نفوذها في دول مهمة كانت خاضعة لنفوذ الدولة السوفيتية ، هنغاريا وبولندا وجيكوسلوفاكيا وثلاث من جمهوريات البلطيق ، أستونيا ولاتيفيا ولتوانيا، باتت حريصة على الحفاظ على نفوذها السياسي والاقتصادي في دول اخرى ، بيلوروسيا وارمينيا وأوسيتيا الجنوبية، بالاضافة الى اوكرانيا التي أصبحت عقدة مستحكمة في علاقاتها مع الولايات المتحدة والدول الاوربية الغربية.(٤٧) وتهدف روسيا من وراء السعي للإحتفاظ بنفوذها في هذه البلدان الى إعاقة تطور علاقاتها مع حلف الاطلسي والإتحاد الاوربي ، وإستعادة سيطرتها على طرق مرور الطاقة والمواد الأولية من آسيا الوسطى، والتي تعد مسألة ذات تأثير كبير في مواقفها السياسية تجاه هذه البلدان لغرض تحقيق نوع من التوازن مع اوربا ، ناهيك عن كونها تعدها مجالاً حيوياً لحماية أمنها ومصالحها الحيوية على أساس مفهوم» الجوار القريب» ، وهو ما يفسر لجوئها الى التصلب في مواقفها وفي سياستها الخارجية أزاءها،(٤٨) والتوجس من السياسات الخارجية للدول الاخرى تجاهها ومنها تركيا.

وبالمقابل عمدت تركيا الى تحسين علاقاتها مع كل جيرانها تقريباً بطريقة غير مسبوقة في ضوء سياستها الخارجية التي أستقيت من المفاهيم التي طبقها وزير الخارجية أحمد داود اوغلو Ahmet Davutoglu حول « العمق الاستراتيجي « Strategic Depth و» صفر مشاكل مع الجيران « Zero Ploblems with Neighbors " والتي طبقاً لها

(٤٧) انظر ، عبدالله فلاح عودة العضايلة ، التنافس الدولي في آسيا الوسطى (١٩٩١-٢٠١٠) ، اطروحة ماجستير ، جامعة الشرق الاوسط ، كلية الأداب والعلوم ، قسم العلوم السياسية ٢٠٠١ ،ص٥٤-٧٣.
https://www.meu.edu.jo/librarytheses/58677/fo8c3d1-38.

(48) vide , Adam Balcer , The Future of Turkish – Russian Relations: A Strategic Perspective , Turkish Policy Quarterly , volume 8 , number 1 , p.82-81.
https://www.esiweb.org/pdf/esi-turkey-tpq-vol-8no-1adam-baker.pdf.

يجب ان تحصل تركيا على وضع القوة الاقليمية وصاحبة المصلحة في المنطقة المحيطة بها بما في ذلك حوض البحر الأسود وآسيا الوسطى، وإن موقعها السياسي سوف يقوم على أساس إقامة علاقات إقتصادية قوية من خلال التجارة والاستثمارات وعقود البناء، وعلاقات سياسية جيدة مع كل الفاعلين الاقليميين، مما يعني أن تركيا سوف تكون قادرة على لعب دور الوسيط في نزاعات المنطقة ، على أساس الإنماء التطوري للمنطقة والتعامل الحذر مع التغيرات الجذرية، أي (الاستقرار قبل الديمقراطية)(٤٩)

ومع أن الدولتان كانتا متفقتان حول أهمية تحقق الاستقرار في المنطقة في البداية، إلا أنه لم يكن من المتوقع قبول تركيا بالمبدأ الروسي حول مفهوم»الجوار القريب» لتعارضه مع تطلعها للإنفتاح في سياستها مع دول هذا الجوار . وهو مايمكن إستنتاجه من طروحاتها حول سياستها الخارجية تجاه المنطقة ، ومن طريقة تعاطيها مع تدخلات روسيا في أوسيتيا الجنوبية وناكورنو قرباخ واوكرانيا فيما بعد، والتي إتسمت بعدم التصعيد رغم عدم القبول بها.

٢. العامل الثاني الذي تختلف فيه مواقف الدولتان يرتبط بالأول الى حد بعيد ويتعلق بتوسيع « الحلف الاطلسي» ليشمل دولاً في اوربا الشرقية لمعالجة الإختلال في القدرات التقليدية في المناطق المتأخمة لروسيا مثل دول البلطيق (إستونيا ، لاتيفيا وليتوانيا)، والذي زاد بعد إخفاق الحلف في توقع التحركات الروسية عام ٢٠١٤ وضمها لشبه جزيرة القرم ، وتدخلاتها السابقة في جورجيا، واللاحقة في اوكرانيا، وإحتمالات أن تقدم روسيا على توسعة مجال نفوذها في مناطق اخرى(٥٠).

مثل هذه التوسعة في حلف الاطلسي كان لابد وأن تصطدم مع تطلعات روسيا الى إستعادت مكانتها في عالم لايخضع لهيمنة قوة واحدة وتهميش دورها في مناطق تعدها من ضمن مجالها الحيوي في الحفاظ على أمنها،(٥١) وإن لم تعد خاضعة لنفوذها المباشر كما كانت في السابق.

تركيا بدورها كانت الى جانب توسعة الحلف في اوربا الشرقية في إطار المواقف المشتركة للحلف في مواجهة السياسات والتوجهات الروسية، والإسهامات التي قدمها، وضمانات الأمن التي أمنها الحلف للأمن القومي التركي منذ إنضمامها اليه عام ١٩٥٢، وقوة الردع التي يمكن أن يؤمنها لها ضد اي تهديد روسي محتمل وضد سياسة القوة التي اتبعتها روسيا لإعادة فرض نفوذها ، وفق الإدراك التركي.(٥٢) ويشير المراقبون العسكريون والسياسيون الى إن التصريحات الواضحة التي أصدرها مجلس الحلف الذي يعد أعلى

---

(49) vide , Ibid , p , 82.

(٥٠) انظر ، بريان فريدريك ، ماثيو بوفلوك وستيفن داتس وآخرون ، تقييم ردود الفعل الروسية على تعزيزات وضع الولايات المتحدة الامريكية وحلف شمال الأطلسي ، منشورات مؤسسة راند RAND ، سانتا مونيكا ، كاليفورنيا ٢٠١٧ ، ص١–٣.
https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research-reports/RP1800/RR1879/RAND.

(٥١) انظر ، محمد مجدان ، سياسة روسيا الخارجية اليوم : البحث عن دور عالمي مؤثر ، مركز دراسات الوحدة العربية.
https://www.caus.org.lb.

(٥٢) انظر ، مصطفى كبار أوغلو ، العلاقات بين تركيا وحلف الناتو ، رؤية تركية ، دورية محكمة في الشؤون التركية والدولية ، السنة ٦ ، العدد ٤ ، ٠١ ديسمبر ٢٠١٧. **https://www.rouyaturkiyya.com.**

جهاز لصنع قراراته ، التي عبر فيها عن تضامنه مع تركيا بعد إسقاطها للطائرة العسكرية الروسية في ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٥، حالت دون تفاقم الأزمنة وتحولها الى صراع مفتوح بينهما ولو بحدود ضيقة.(٥٣)

وكان احمد داود أوغلو قد كتب « إن قدرة تركيا وأهيلتها للتأثير ، وأهميتها الجيوسياسية فيما يتعلق بالمهمة الجديدة لحلف شمال الأطلسي، ترتبط بالثقل الاستراتيجي لتركيا في المناطق الجغرافية البرية والبحرية القريبة منها، وإمكانية إستخدام هذا الثقل في سياستها الخارجية بشكل مؤثر وفاعل . وإن ابرز المشكلات السياسية التي سوف تواجهها تركيا في المراحل القادمة، مايتعلق بالقدرة على الموازنة بين خياراتها وسياساتها الاقليمية وبين المهمات العالمية لحلف شمال الاطلسي، وتوجهاته في النظام العالمي»(٥٤).

ولتحقيق مثل هذه الموازنة ، لجأت تركيا الى تعزيز مصالحها الخاصة بعدها جانباً من التعاون مع روسيا الى جانب الادراك بوجود خلافات واضحة معها. لذلك عارضت الوجود الواسع للولايات المتحدة في منطقة البحر الأسود، ولم تدعم تطلعات جورجيا واوكرانيا للإنضمام الى حلف الاطلسي لرغبتها في الحفاظ على علاقات منضبطة مع روسيا، وفي الوقت نفسه إنتقدت بشكل معتدل تدخل روسيا في جورجيا وإعترافها بأنجازيا وأوسيتيا الجنوبية كدول مستقلة.(٥٥)

تركيا وروسيا رغم تعاونهما إلا إن هناك هامشاً مهماً من الصراع بينهما في مجال نقل الطاقة والمواد الخام ايضاً. فروسيا تريد أن تكون مصدراً رئيساً لتجهيز النفط والغاز الروسي والمواد الأولية لآسيا الوسطى الى اوربا الغربية، لما لذلك من أهمية كبيرة في إنعاش إقتصادها من ناحية، ولإستخدام مواردها الطبيعية للتأثير الجغراسياسي من خلال استغلال إعتماد المستخدمين والمستهلكين لهذه المواد وخاصة الطاقة في أوقات الأزمات السياسية الدولية والاقليمية والداخلية كما حدث في أوكرانيا(٥٦)، من ناحية اخرى .

وتعد تركيا مهمة لروسيا في هذا الاتجاه لإدامة موقعها كمصدر ومجهز رئيس لهذه المواد ، بعدها جسراً يربط دول الاتحاد الاوربي بآسيا الوسطى والشرق الأوسط. فأنابيب نقل النفط باكو– تبليسي– جيهان وأنابيب نقل الغاز – باكو– تبليسي– أرضروم، التي أنشأت بدعم من الولايات ، من شأنها أن تخفف من سيطرة روسيا على تجهيز هذه المواد من دول آسيا الوسطى إذا ما تم نقلها عبر « مشروع نابوكو Nabucco gas Pipline Project» المدعوم ايضاً من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي إضافة الى تركيا التي سوف تستفيد منه هي ودول البلقان لتطوير بناها التحتية عند نقل الغاز من منطقة بحر قزوين ، وربما من العراق ومصر، الى اوربا.(٥٧)

---

(٥٣) المصدر نفسه.

(٥٤) أحمد داود أوغلو ، العمق الاستراتيجي – موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية ، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل ، مراجعة بشير نافع وبرهان كوروغلو ، مركز الجزيرة للدراسات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الطبعة الثانية ، الدوحة – قطر ٢٠١١ ، ص٢٦٢.

(55) vide , Adam Balcer , Op , cit, p. 83

(٥٦) انظر ، مايكل كوفمان ، كاتيا ميجاشيفا ، براين نيشيبوروك وآخرون ، عبر من عمليات روسيا في شبه جزيرة القرم وشرق اوكرانيا ، مؤسسة راند ، سانتا مونيكا – كاليفورنيا ٢٠١٧ ، ص٣٠–٣١. **https://www.rand.org/t/RR1498.**

(57) vide , Adam Balcer , Op , cit , p.84.

وقد عارضت روسيا مشروع ناباكو في ذلك الوقت ، ونظر الى تدخلها العسكري في جورجيا من خلال أوسيتيا الجنوبية في هذا السياق ، ذلك أن الاستقرار في هذه المنطقة جنوب القفقاس يعد أمراً جوهرياً لنجاح المشروع.(٥٨)

لذلك قامت روسيا بتعزيز مشاريع منافسة مثل « خط أنابيب الغاز المسال الجنوبي "South Stream line الذي يمر عبر البحر الاسود والبلقان ،»مشروع خط انابيب الادرياتيكي (تاب) "Adriatic Pipeline(TAB) ،(٥٩) إلا إنها عادت وعدلت عنهما بسبب الموقف الاوربي بفرض عقوبات عليها، لتطور مشاريع مهمة مع تركيا مثل « خط السيل الأزرق Blue Stream line «(٦٠).

٣. المجال الآخر في إطار علاقات الدولتين في هذا الجانب منها هو سورية . فمنذ إندلاع المواجهات والقتال فيها عام ٢٠١١، اصبحت أحد المناطق الرئيسة للتنافس بين تركيا وروسيا عندما دعم كل منهما طرفاً معارضاً لطرف آخر. ومع مرور الوقت وتطور الأحداث تحولت سورية الى موضع تفاعل سياسي واستراتيجي رئيس بين تركيا وروسيا بسبب إختلاف مصالح وأهداف كل منهما فيها، ومن ثم دعمه لفريق ضد آخر.

ومن وجهة النظر التركية ، أن الحرب الممتدة على طول حدودها الجنوبية لاتشكل تهديداً أمنياً مباشراُ لها فحسب، وإنما ايضاً تولد مشكلة إنسانية كبيرة يصعب التعامل معها وإدارتها.(٦١)

اما روسيا فترى أن التدخل العسكري الذي يدأ منذ نهاية ايلول/ سبتمبر ٢٠١٥ لم يعد أداتها السياسية في الشرق الأوسط فحسب، ولكن ايضاً اداتها الرئيسة في صراعها مع مايسمى «ثورات اللون»(٦٢)، بالاضافة الى إن تركيا ، وعلى الرغم من كونها عضواً في التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد تنظيم (الدولة الاسلامية) ، إلا إن لها تحفظات جدية على العمليات الاميركية في هذا المجال، وعندما تتحدث روسيا عن استعدادها للتعاون مع الولايات المتحدة ، فإن هدفها الرئيس هو للوقوف ضد محاولاتها وتأثيرها(٦٣)، والمراد بالكلام الرد على تحفظات تركيا على عدم الولايات المتحدة لفصائل

---

(58) bid , p . 84.

(٥٩) انظر ، خط أنابيب غاز روسي يهدد مشروع ناباكو ، رويترز ، ٢٨ مارس ٢٠١٣.
https://www.reuters.com/artical/oegbs-europe-gas-mn-4idARACAE9B2MSA2013

(٦٠) انظر ، محمود سمير الرنتيسي ، العلاقات التركية – الروسية : مستقبل التعاون الاقتصادي والخلاف ، مركز الجزيرة للدراسات ، ديسمبر ٢٠١٤. **https://www.studies.aljazeera.net/ar/profil/6/6.**

(61) vide , Pavel K.Baev , Kemal Kirisci , An ambiguous partenership : The serpentine trajectory of Turkish-Russian relations in the era of Erdogan and Putin , Center on the United States and Europe at Brookings 10 , policy paper , number 13. September 2017 , p.10.
https://www.brookings.edu/wp-content.uploods/2017/paval-and-kirsci-turkey-and-russia.pdf.

(٦٢) « ثورات اللون» أو « الثورة الملونة « ، مصطلح إستخدمته وسائل الاعلام العالمية لوصف مختلف الحركات ذات الصلة التي نشأت في العديد من دول الاتحاد السوفيتي السابق ومنطقة البلقان في أوائل القرن الحادي والعشرين ، ثم عمم المصطلح على العديد من الثورات في دول اخرى. وفي الغالب كانت مثل هذه الثورات سلمية وتلجأ الى التظاهرات والإضطرابات للتعبير عن مطالبها ، وغالباً ما تشارك فيها منظمات للمجتمع المدني والطلبة. انظر:
https://www.stringfixer.com/ar/color-revolution.

(63) Vide , Pavel K.Baev, Kemal Hirisci , Op,cit, pp.11-10.

من السوريين الاكراد من «وحدات حماية الشعب الكردي (YPG) « التي تشكل عماد مايسمى» قوات سورية الديمقراطية (قسد)»، وتخوف تركيا من تعاون روسيا مع الولايات المتحدة في هذا الشأن.

ومبعث القلق التركي من مثل هذا الدعم يعود الى تخوفها من إقامة كيان كردي في المنطقة يتمتع بالحكم الذاتي بعد فقدان النظام في سورية السيطرة على مناطق الشمال الشرقي من البلاد، والذي يمكن ان يغذي تطلعات الاكرد في تركيا.(٦٤)

وعلى العكس من تركيا ، فقد قررت روسيا دعم النظام السياسي في سورية ، بعده الحليف الوحيد المهم المتبقي لها في المنطقة العربية بعد أن فقدت حليفها الليبي. والى جانب كون الشريك الرئيس لها في سورية هو حكومة دمشق ، إلا إنها ترغب في العمل مع الاكراد ايضاً، ودعت في العام ٢٠١٦ الى إشراكهم في محادثات الامم المتحدة للسلام في سورية ، كما أنها اصبحت أول دولة اوربية تسمح بفتح مكتب يمثل» حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري Syrians Kurdish Democratic Union Party(PYD)»، الذي تعده تركيا مرتبطاً بحزب «العمال الكردستاني التركي (PKK)»، الذي تعتبره إرهابياً.(٦٥)

وقد عد الخلاف بين الدولتين حول الوضع في سورية الصراع الأول والاكثر تأثيراً حيث إختبرت روسيا وتركيا مخاطر عالية لتصادم سياستيهما ، قبل أن يتمكنا من ايجاد أسلوب للتعاون تسبق الدخول في مرحلة غير مستقرة من الصراع.(٦٦) فقد كان الرئيس أردوغان قاطعاً في موقفه ضد نظام بشار الأسد، والتدخل العسكري الروسي في ايلول/ سبتمبر ٢٠١٥ أفشل مخططاته، وجر العلاقات بينهما الى أسوء حالاتها في نهاية ذلك العام عندما تسبب الصراع بإسقاط تركيا للقاصفة الروسية (٢٤M-SU) بتصعيد إقترب كثيراً من المواجهة المفتوحة بالكامل.(٦٧)

وعلى الرغم من إن الصراع بين تركيا وروسيا مستمر في توليد الإحتكاك بينهما ، إلا إن الوضع القائم حتى الآن يبدو مفيداً للطرفين، ففيما اصبحت روسيا وسيط القوة الرئيس في سورية، بسطت تركيا سيطرتها على المناطق السورية المتآخمة لها، وبذلك ابقت الفصائل الكردية المقاتلة في مرماها من حدودها ، وكواحدة من الدول الضامنة في محادثات استانة "Astana Peace Talks لعام ٢٠١٦، الى جانب روسيا وايران، أصبح لها مكانة في المفاوضات حول الشان السوري .(٦٨) وهو مادفع المراقبون الى النظر الى التطورات التي حدثت ، ولما تزل ، على إنها فصل من سياسة إعطي- وخذ في إطار تفاعل العلاقات الأوسع في مجالاته المختلفة ومدياته بين تركيا وروسيا الاتحادية.(٦٩)

(64) Vide , European Parliamentary Research Service , Russia-Turkey relations : A Fin liue between competition and Cooperation , European Union , 2021 , p.5.
https://www.europari.europa.eu/RegData/etudes/BRIE/6790909/2021/EPRS-BRI(-679090(2021EN.pdf
(65) vide , ibid , p . 5.
(66) vide , Pavel Baev , Russia and Turkey-Strategic Partners and Rivals , Russia /NS center , NOTES DE LIFRI , Russia , N E I . Reports No.35 , May 2021 , p. 15.
https://www.ifri.org/sites/defult/files/atoms/files/baev-turkey-russia2021-.pdf.
(67) Ibid , p.15.
(68) Vide, Euoropean Parliamentary Research Service , Op , cit , p.6.
(69) Ibid , p .6.

الخاتمة

العلاقات بين تركيا وروسيا بدأت بالصراع بوسائل القوة المادية متجسدة في الحروب التي خاضتاها في مواجهة إحداهما للآخرى مابين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر، وإنتهت بالتعاون والتفاهم والتعاون والصراع في الوقت نفسه بالوسائل السياسية والدبلوماسية، حتى الوقت الحاضر على الأقل ، ومابين هاتين المرحلتين مرت العلاقات فيما بينهما بمراحل من التقارب أحياناً ومن التنافس والصراع السياسي بالوسائل البدلوماسية في فترات مابين الحربين العالميتين وفترة الحرب الباردة ومابعد تفكك الاتحاد السوفيتي.

وفي كل مرحلة من هذه المراحل ، ولاسيما الأخيرة منها، كان تاريخ العلاقات بينهما حاضراً في سياساتهما تجاه بعضهما ، ومصالح كل منهما ماثلة له، والأهداف التي يتوخى تحقيقها كل طرف في صلب سياساته الخارجية ، كل حسب إدراكه.

ومايميز مرحلة العلاقات بين الدولتين بعد العام ٢٠٠٠ هو:

١. طبيعة العلاقات بينهما التي تتسم بالتعاون والتنافس والصراع في الوقت نفسه، في إطار حجم غير مسبوق من العلاقات المتنوعة التي إمتدت لتشمل جوانب سياسية وأقتصادية وتجارية وحتى عسكرية.
٢. دور كل من الرئيس التركي رجب طيب أوردغان والرئيس الروسي فلاديمير بوتن في إدارة هذه العلاقات ، إنطلاقاً من رؤية كل منهما لأهمية بلاده ومصالحها الحيوية والمكانة التي يجب ان تكون عليها في النظامين الدولي والاقليمي.
٣. التوازن الذي ولدته هذه العلاقات في النظام الدولي بدرجة أو باخرى والذي حد من هيمنة الولايات المتحدة والدول الغربية بشكل عام عليه خاصة بعد أحداث ١١ الحادي عشر من ايلول/ سبتمبر ٢٠٠١، والتي بدأت إرتداداتها تظهر الآن.

ومع التطور الملحوظ في العلاقات بين تركيا وروسيا ، يرى بعض الدراسون والباحثون أنه من المستبعد بلوغ العلاقة بينهما حد التحالف الاستراتيجي بسبب الإختلافات التي يرونها جوهرية بين الدولتين فيما يتعلق : بمواقفهما من قضايا خلافية رئيسة مثل قضية قبرص ومناطق في آسيا الوسطى والقفقاس وسياسات الطاقة، وأساليب التعامل المختلفة لسياساتهما الخارجية بين القوة الناعمة والقوة الصلبة وماهو حاسم فيها، التصورات حول التطور والتحسن الكبير في وضع تركيا، ومن ثم توازن القوى مع روسيا في المستقبل طبقاً لتوقعات الأمم المتحدة حول النمو السكاني في كل منهما وما سوف يترتب عليه من تبعات قيمية وروحية في دول آسيا الوسطى والقفقاس، وإنعكاساتها على روسيا وتأثيرها عليها وعلى نفوذها على هذه الدول.[٧٠] ومع إستبعاد إمكانية بلوغ العلاقات بين الدولتين مستوى من التحالف الاستراتيجي على غرار تحالف تركيا مع»الحلف الاطلسي» في المستقبل المنظور ، على الرغم من مشاكل تركيا مع بعض أعضاءه ،

(70) Vide , Adam Balcer , Op , cit , pp. 86-85.

إلا إنها يمكن أن تبلغ مستويات أعلى من التعاون في مختلف المجالات، ومن التفاهم والتنسيق حول القضايا التي يمكن معالجتها بالتنازلات المتقابلة أو المتبادلة . أما قضايا الخلافات الجوهرية والاكثر تعقيداً ، فعلى الأرجح انها ستوجل وستبقى في إطار الصراع السياسي أو الصراع غير المباشر عبر أطراف اخرى كما كانت الحال في المعارك بين ارمينيا واذربيجان عام ٢٠٢٠، وتلك المستمرة في سورية حتى الوقت الحاضر.